تصغره عمراً ويعجز عن إطفاء وقدة عينيها الرانيتين، المتطلعتين إلى هموده لا يتحقق.

رغم هذه الصلة الوثيقة بالقصر لم يقدر الحفيد على استرداد الوقف، الوضع أصبح معقداً بعد سريان العمران، وظهور قصر الصفا على ربوة عالية، واتخاذ مدفعية الجيش مواقع لها منذ الثورة العرابية فى سيدى جابر والمنتزه وسيدى بشر.

غير أن إصرار الحفيد لم يهن، القضية تستغرق أجيالاً، بعد أن تزوج إحدى بنات بحرى اللينات، الخبيرات، قرر أن يهب أبنه الأول منها للقضية، تعليمه القانون حتى يتخرج من الحقوق متقنًا له، عارفًا بأصوله وخباياه، عندئذ يمكنه استرداد الوقف.

نبغ الولد، لم يحصل على ليسانس الحقوق بامتياز فقط، إنما تقدم لإعداد الماجستير، ممهداً طريقه إلى الشهادة العالية، الدكتوراه، لكن عودته من باريس بدأت السياسة تأخذه، كما ظهرت عليه أعراض الكتابة، ولم يهدئ والده إلا توقيعه فى الصحف باسم النبراوى، لقب الجد الأكبر، طباخ الباب العالى، متقن التحويجة السلطانية التى حققت للأسرة وضعها رغم اختلاف العصور وسقوط وصعود النظم.

فى البداية تعامل مع وصية والده باستخفاف، سايره وأصغى إليه، لكنه لم يتخذ خطوة واحدة فى سبيل تحريك الموضوع، هذا حال متكرر منذ أول وصية نطق بها النبراوى الكبير، نطق بها فى المطبخ الكبير الملحق بقصر طوب كابى سراى، مقر السلاطين من آل عثمان، أصغى إليه ابنه بدهشة، أى تحويجة وأى مقادير يوصيه بإتقانها والحفاظ عليها، لكن بعد مضى مدة ربما تطول أو تقصر يبدأ الابن بإدراك المغزى ويتحول ما سخر